والمعنى : لو شئنا لجبلنا كل نفس على الانسياق إلى الهدى بدون اختيار كما جبلت العجماوات على ما ألهمت إليه من نظام حياة أنواعها فلكانت النفوس غير محتاجة إلى النظر في الهدى وضده ولا إلى دعوة من ا إلى طريق الهدى ولكن ا لما أراد أن يكل إلى نوع الإنسان تعمير هذا العالم وأن يجعله عنوانا لعلمه وحكمته وأن يفضله على جميع الأنواع والأجناس العامرة لهذا العالم ؛ اقتضى لتحقيق هذه الحكمة أن يخلق في الإنسان عقلا يدرك به النفع والضر والكمال والنقص والصلاح والفساد والتعمير والتخريب وتنكشف له بالتدبر عواقب الأعمال المشتبهة والمموهة بحيث يكون له اختيار ما يصدر عنه من أجناس وأنواع الأفعال التي هي في مكنته بإرادة تتوجه إلى الشيء وضده وخلق فيه من أسباب العمل وآلاته من الجوارح والأعضاء إذا كانت سليمة فكان بذلك مستطيعا لأن يعمل وأن لا يعمل على وفاق ميله واختياره وكسبه . وهذا المعنى هو الذي سماه الأشعري بالكسب وبالاستطاعة وتكفل له بإعانته على ما خلق له من الإدراك يدعوه إلى ما يريده ا منه من الهدى والصلاح في هذا العالم بواسطة رسل من نوعه يبلغون إليه مراد ربهم فطردهم على الصفات الملكية وجعلهم وسائط بينه وبين الناس في إبلاغ مراد ربهم إليهم .

ووعده الناس بالجزاء على فعل الخير وفعل الشر بما فيه باعث على الخير ورادع عن الشر .

وقد أراد ا أن يفضل هذا النوع بأن يجعل منه عمارا لعالم الكمال الخالد عالم الروحانيات فجعل لأهل الكمال الديني مراتب سامية متفاوتة في عالم الخلد على تفاوت نفوسهم في ميدان السبق إلى الكمالات وجعل أضداد هؤلاء عمارا لهوة النقائص فملأ منهم تلك الهوة المسماة جهنم .

البالغ (أجمعين والناس الجنة من جهنم لأملأن مني القول حق ولكن) قوله معنى فهذا A E من الإيجاز مبلغ الإعجاز إذ حذف معظم ما أريد بحرف الاستدراك الوارد على قوله (ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها) ؛ فإن مقتضى الاستدراك أن يقدر : ولكنا لم نشأ ذلك بل شئنا أن نخلق الناس مختارين بين طريقي الهدى والضلال ووضعنا لهم دواعي الرجاء والخوف وأريناهم وسائل النجاة والارتباك بالشرائع قال تعالى (وهديناه النجدين) أي الطريقين وحققنا الأخبار عن الجزاءين بالوعد والوعيد بالجنة وجهنم فلأملأن جهنم بأهل الضلال من الجنة والناس أجمعين فدخل هذا في قوله (حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين) بما يشبه دلالة الاقتضاء وقد أومأ إلى هذا قول النبي صلى ا عليه وسلم " إن ا خلق الجنة وخلق لها ملأها وخلق النار وخلق لها ملأها " وإنما اختير الاقتصار في المنطوق به الدال

على المحذوف على شق مصير أهل الضلال لأنه الأنسب بسياق الاعتراض إثر كلام أهل الضلالة في يوم الجزاء ولأنه أظهر في تعلق مضمون جملة الاعتراض بمضمون اقتراحهم أي لو كان إرجاعهم إلى الدنيا ليعملوا الصالحات مقتضى لحكمتنا لكنا جبلناهم على الهدى في حياتهم الدنيا فكانوا يأتون الصالحات بالقسر والإلجاء .

فالمراد (القول) ما أوعد ا به أهل الشرك والضلال .

والجنة : الجن وهم شياطين .

وجعل جمهور المفسرين قوله (ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها) إلى آخره جوابا موجها من قبل ا تعالى إلى المجرمين عن قولهم (ربنا أبصرنا) الخ .

ووجود الواو في أول هذا الكلام ينادي على أنه ليس جوابا لقول المشركين يومئذ فهم أقل من أن يجعلوا أهلا لتلقي هذه الحكمة بل حقهم الإعراض عن جوابهم كما جاء في آية سورة المؤمنين (قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون قال اخسأوا فيها ولا تكلمون) ولأنه لا يلاقي سؤالهم لأنهم سألوا الرجوع ليعملوا صالحا ولم يكن كلامهم اعتذارا عن ضلالهم بأن ا لم يؤتهم الهدى في الحياة الدنيا وإنما هذا بيان من ا ساقه للرسول E والمؤمنين ليحيطوا علما بدقائق الحكمة الربانية .

وعدل عن الإضافة في (حق القول مني) فلم يقل : حق قولي لأنه أريد الإشارة إلى قول معهود وهو ما في سورة ص (لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين) أي حق القول المعهود . واجتلبت (من) الابتدائية لتعظيم شأن هذا القول بأنه من ا